الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
المرجع: .....

اشتغال الألوان على جمالية الوصف في ثلاثية محمد ديب مقاربة سيميائية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:
* إيناس سرار
* سهام بورومة

إشراف الأستاذ:
خالد سوماني

السنة الجامعية: 2021/2020

شكر وتقدير

بعد بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على الرسول الكريم نشكر الله عز وجل الذي وفقنا لانجاز هذا البحث لنهديه إلى الوالدين الكريمين.

كما نتقدم بكل الشكر والتقدير والاحترام للأستاذ خالد سوماني على احترامه لنا وثقته فينا وعلى النصائح والتوجيهات التي لم يبخل بها علينا.

كما نشكر كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث من قريب ومن بعيد.

مقدمة

ارتبطت الذاكرة التاريخية الجزائرية بالفترة الاستعمارية الأليمة، التي أبت أن تحاط بدائرة النسيان، فكيان هاته الأمة ارتبط بهذا التاريخ العظيم، وانغمست ذاته في منابع الخوف والقهر الذي استوطن النفوس من غاصب نهش البلاد والعباد.

فكانت كتابات الأدباء الجزائريين تجسد المعنى الحقيقي لمآسي الحياة في كنف الظلم والاستعباد. وعلى الرغم من أن لغة المستعمر كانت تطغى على أعمال الأوائل منهم، إلا أنها كانت بمثابة الضوء الساطع الذي كشف بشاعة أعمال الانتهاك الذي مورس على هذا الشعب المغلوب على أمره. وبالحديث عن هاته الأعمال، يجدر بنا أن نذكر ثلاثية محمد ديب، وهي رواية تعبر بصدق عن واقع الأمة الجزائرية إبان الفترة الاستعمارية.

وبالنظر في أعماق هاته الثلاثية، نجد أن الألوان أخذت حيزا لابأس به من المساحة الروائية،لذا ارتأينا أن نتطرق إلى موضوع الألوان، ونغوص في أغوار دلالاتها، ونلمس جمالية الوصف التي قدمتها الألوان في هاته الرواية، فمن خلال دراستنا تبين لنا وجود نقص في البحث عن دلالات الألوان سيما في مثل هكذا روايات، لذا كان لزاما علينا التطرق إلى إبراز هذه الدلالات لفهم الرواية ظاهرا والتعمق في تاريخ هذا الوطن باطنا. فجاء بحثنا موسوما بعنوان "اشتغال الألوان على جمالية الوصف في ثلاثية محمد ديب مقاربة سيميائية". وقد أردنا في كل هذا الإجابة على جملة من التساؤلات اعترضت فكرنا خلال البحث تحوصلت في إشكالية كالآتي:

إلى أي مدى تساهم الألوان في تسيير عملية الوصف؟ وماهي أهم الدلالات التي يمكن توليدها عن طريق الألوان؟

وللإجابة على الإشكالية التي طرحناها سابقا، اعتمدنا على المنهج السيميائي بالإضافة إلى آليتي الوصف والتحليل، وقمنا بإحكام خطة تضمنت مقدمة، مدخلا بعنوان "الأدب الجزائري تهمة أم ميزة" تحدثنا فيه عن الاختلاف في تصنيفه وعن ظروف نشأته .

وفصلين أحدهما نظري والآخر تطبيقي ، فأما الأول فكان بعنوان "السيميائيات ودلالة الألوان" تطرقنا فيه إلى تعريف السيميائيات لغة واصطلاحا وذكرنا أهم اتجاهاتها، كما تطرقنا إلى الألوان في الذاكرة الاجتماعية، والى تأثيرها على السيكولوجية الإنسانية. في حين عنون الفصل الثاني كالآتي"الوصف في ثلاثية محمد ديب بالألوان دلالات وجماليات"، تناولنا في جعبته نبذة عن الكاتب محمد ديب، ملخصا للرواية، وجمالية الألوان في وصف الشخصيات والزمكان وكذا التراث المادي. بالإضافة إلى خاتمة ضمت أهم النتائج المتوصل إليها من خلال البحث. وقد جعلنا عدتنا في هذا البحث مكونة من جملة من المصادر والمراجع أهمها: معجم السيميائيات لفيصل الأحمر، دروس في السيميائيات مبارك حنون، كلود عبيد الألوان(دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالالتها) ، اللغة واللون لأحمد مختار.

وبالحديث عن العراقيل التي اعترضت طريقنا في إتمام سيرورة هذا البحث، فلم تكن هناك صعوبات تستحق الذكر سوى "وباء كورونا" الذي أثر سلبا على العام الدراسي ككل بسبب تغير البروتوكولات الإجرائية المعتادة وما سببه من تأخير.

وحتى لايخفى علينا أن الرواية درست من عدة جوانب، لكن من ناحية الألوان فهي جديدة على حد علمنا.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر للأستاذ خالد سوماني الذي كرس جهده ووقته لخدمتنا وخدمة البحث.

تمهيد

تمهيد:

الأدب المغاربي أو كما يطلق عليه البعض أدب شمال إفريقيا، هذا النتاج الأدبي الصادر عن كتاب المغرب العربي الكبير، الذي تمكن دون غيره من كسر حاجز القومية والتعدي إلى ما دون ذلك، إذ استطاع تبني لغة غير عربية للتعبير عن واقع عربي في فترة زمنية معينة.

أثار هذا الأخير ضجة كبيرة في الساحة الأدبية إذ اختلف النقاد والدارسون في بداياته الفعلية تارة، وفي تصنيفه تارة أخرى؛ فالبعض يرى أنه أدب أجنبي باعتبار اللغة، في حين يروح البعض الأخر إلى كونه عربيا مادام الكاتب والمضمون جزائريا على حد السواء.

وفي ظل الظروف الصعبة التي عاشها الشعب الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي، برزت عدة أسماء لكتاب لطالما قرنت بالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية هؤلاء الذين سخروا أقلامهم لرصد أهم الأحداث التاريخية الكبرى التي مرت بها الجزائر في تلك الفترة، دون أن ينسوا شيئا من تلك الآهات والمعانات التي عاشتها الجزائر بحذافيرها أمثال محمد ديب ، مالك حداد، مولود فرعون، كاتب ياسين وغيرهم... الخ.

هؤلاء الذين استعاروا اللسان الفرنسي للبوح بمشاعر ومكنونات داخلية رغما عنهم، كيف لا وهم في مأساة ومعانات مع اللغة، تلك اللغة المستعارة التي فجروا من خلالها تلك الشحنات المكبوتة بداخلهم من ظلم وقهر وألم بغير لغتهم الأم. يقول محمد ديب في هذا الشأن"بل قولوا أن أدبا قوميا يظهر الآن في المغرب عامة وفي الجزائر خاصة.غير أن الأمر الذي له دلالة بليغة هو أن هذا الأدب يكتب باللغة الفرنسية في بلاد ذات تراث ثقافي إسلامي لا تزال تحاول، في كثير من العناء، أن تقدم إنتاجا أدبيا باللغة العربية". [1]

[1]– محمد ديب، ثلاثية محمد ديب، الدار الكبيرة، الحريق، النول، تر:سامي الدروبي، دار الوحدة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان،دط،1985،ص05.

فهذا القول كفيل بإيضاح فكرة أن هؤلاء الكتاب كانوا مجبرين على اتخاذ هذه اللغة وسيلة بعد أن كتاباتهم تتنافى واياها.

يقول مالك حداد أيضا:"أنا لا أرطن ولا أتكلم ،إن في لغتي لكنة،إنني معقود اللسان...".[1]

بمعنى أنه يتمنى أن يعبر بلغته الأصلية عما عبر به بلغة العدو، وكأنه يلقي اللوم على نفسه أو أنه يتأسف على هذه الحقيقة بأنه لا يستطيع الكتابة بالعربية لظروف فرضها الاستعمار كي ينسي الشعب الجزائري لغته الأصلية.

والحقيقة التي لايمكن إخفاؤها هو أن الاستعمار الفرنسي بالرغم من محاولة طمسه للهوية الجزائرية بشتى الطرق ومحاولاته الكثيرة في القضاء على اللغة العربية، إلا إن كل هذه المحاولات باءت بالفشل، فعلى الرغم من أن هذا الأدب جاء بلسان فرنسي تبعا لظروف أقوى من رغبة هؤلاء الأدباء، إلا أنه سيظل جزائريا محضا لطالما كانت أنفاسهم قلوبهم وأفكارهم جزائرية حرة بكل ما للكلمة من معنى.

[1]–محمد دبب، مرجع سابق، ص06.

الفصل الأول

السيميائيات ودلالة الألوان

في بدايات القرن العشرين، بدأت الإرهاصات النقدية التي توحي بظهور علم جديد، ففي خضم توالد الأفكار بين عالمين كبيرين أرست السيميائيات معالمها وفق توالد ازدواجي لمبادئها.احدهما أوروبي على يد اللساني فيرديند ديسوسير والآخر أمريكي على يد الفيلسوف سندرس بيرس، وقد اتفق الدارسون على أن هذا التوالد لم يكن سوى تكامل مابين الاتجاهين لتكوين هذا العلم الجديد، فكان لزاما علينا أن نتطرق إلى ضبط تعريف للمصطلح ضبطا يتماشى والاتجاهات المؤسسة له.

1-مفهوم السيميائيات:

1-1- لغة:

1-1-1-عند الغرب:

إن الجذر اللغوي لكلمة سيميائيات يعود للأصل اليوناني، إذ"تؤكد معظم الدراسات اللغوية أن الأصل اللغوي لمصطلح " sémiotique" يعود إلى العصر اليوناني، فهو آت كما يؤكد "برنار توسان" من الأصل اليوناني "séméion"، الذي يعني علامة و"logos" الذي يعني "الخطاب"(...) وبامتداد أكبر كلمة "logos" تعني العلم، فالسيميولوجيا هي علم العلامات".[1]

1-1-2-عند العرب :

أما معنى السيمياء كما جاء في لسان العرب لابن منظور فهي:"والسومة والسيمة والسيمياء: العلامة...سوم فلان فرسه إذا أعلم عليه بحريرة أو بشيء يعرف به، قال: والسيما ياؤها في الأصل واو، وهي العلامة يعرف بها الخير والشر".[2]

---

[1] -فيصل الأحمر، معجم السيمسائيات، الدار العربية للعلوم، الجزائر العاصمة،ا لجزائر، ط1،2010م، ص12.

[2] -ابن منظور، لسان العرب، دار صبح، ايديسوفت، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1،ج6،2006 ، مادة (س.و.م)، ص414، 415.

يتضح لنا من خلال هذا التعريف أن مصطلح السيمياء حامل لمعنى علامة، أو إشارة، إذ تمكننا هذه الأخيرة الولوج إلى معنى مضمر خلفها توحي إليه.

1-2-اصطلاحا:

تعددت التعاريف وتنوعت المفاهيم في وضع تعريف دقيق للسيميائيات وذلك حسب التيارات التي تبنتها، يقول سوسير في هذا الشأن :"علم يدرس حياة الدلائل الاجتماعية، علم سيكون فرعا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي فرعا من علم نفس العام، ونطلق على هذا العلم السيميولوجيا".[1]

يتضح من خلال هذا القول أن سوسير وسم مصطلح علم السيمياء بمصطلح السيمسولوجيا، وربطه ربطا وثيقا بالحياة الاجتماعية، باعتبارها مجموعة العلامات والرموز التي يتخذها الناس أساسا لتحقيق غرض التواصل، ومن هذا المنطلق ألحقها بعلم النفس الاجتماعي ، ومن ثم علم النفس العام.

في حين العالم الأمريكي بيرس أطلق على علم السيمياء مصطلح السيميوطيقا، واقترن مفهوها عنده أساسا بالمنطق، اذ يقول:"المنطق، في معناه العام(...)، ليس إلا اسما أخر للسيميائية (...)، وهو مذهب شبه ضروري للعلامات".[2]

من جهة أخرى انبثقت من دراسات الأبوين الشرعيين لعلم السيمياء، عدة دراسات أضفت على العلم الأصلي أسسا جديدة، من أبرزها دراسات العالم الايطالي أمبرتو ايكو الذي أدخل عليها واقرنها بالمفاهيم الثقافية، اذ يقول:" "تعنى السيميائية بكل ما يمكن اعتباره إشارة". تتضمن السيميائية ليس فقط مانسميه في الخطاب اليومي "إشارات"، لكن أيضا كل ماينوب عن

---

[1] -حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص69.

[2] -جون ماري كلينكبارغ، بحوث سيميائية، تر: رشيد بن مالك، ص18.

شيئ آخر من منظور سيميائي تأخذ الإشارات شكل كلمات وصور وأصوات و إيماءات وأشياء".[1]

2-بين سيميولوجيا سوسير وسيميوطيقا بيرس:

2-1-سيميولوجيا سوسير:

غالبا ما ارتبط مصطلح السيميولوجيا بالعالم السويسري سوسير،ففي كتابه محاضرات في اللسانيات العامة،يقر بميلاد علم جديد أطلق عليه مصطلح السيميولوجيا،فانطلق من منظور لساني،مفاده أن" اللغة نظام من العلامات المعبرة عن أفكار،...ويمكننا تصور علم يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية،(...) سوف نسميه السيميولوجيا (...) وسوف يخبرنا فيما تتمثل العلامات وماهي القوانين التي تحكمها...ليست اللسانيات سوى قسم من هذا العلم العام،والقوانين التي سوف تكشفها السيميولوجيا ستكون صالحة للتطبيق على اللسانيات".[2]

ويشير هنا سوسير إلى حقيقة علمية واضحة مفادها أنه إذا كانت اللسانيات تتخذ من اللغات الطبيعية موضوعا لها،فان السيميولوجيا تعدتها إلى دراسة مختلف العلامات داخل الحقل الاجتماعي، سواء كانت هذه العلامات لغوية أو غير لغوية.

يعرف سوسير العلامة بقوله:"العلامة هي النتيجة الإجمالية للارتباط بين الدال والمدلول"[3].

---

[1] -دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر:طلال وهبه، مر:ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، شارع البصرة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص28.

[2] -جان كلود دومينجوز، بحوث سيميائية، تر :جمال بلعربي، ص42.

[3] -فرديناند دو سوسير ،علم اللغة العام، تر:يوئيل يوسف وآخرون، دار الآفاق للصحافة والنشر، بغداد، ط3،1985 ، ص77.

"إذ يعتبرها وحدة نفسية ذات وجهين مرتبطين ارتباطا وثيقا ويتطلب أحدهما الآخر".[1]

أدخل سوسير مفهومه للعلامة داخل النطاق النفسي،ويؤكد ذلك بقوله:"إن العلامة لاتربط بين الشيء والاسم،بل بين المفهوم والصورة السمعية"[2].

فأما الدال signifiè فيعبر عن الصورة المادية للعلامة سواء كانت لغوية أو غير لغوية، أما المدلول signifiant فيعبر عن الصورة الذهنية لها،و بإحداث نوع من الترابط الفطري في الذهن البشري تحصل الدلالةsignification .

ويقر سوسير في توالي هذه الأفكار أن الدال إذن هو سلسة الأصوات لا الصورة الصوتية،وأن المدلول هو تلك الصورة الذهنية التي تتشكل بمجرد سماع تلك السلسلة من الأصوات.

وفي ذلك نستحضر المثال الآتي للتوضيح،لدينا كلمة"c–h–a–t / chat/" (دال) تثير بالنسبة للذي يفهم الفرنسية فكرة "قط" (مدلول)،هذا الحيوان الأليف ذو الشعر الناعم،والشوارب الطويلة...يعتبر الدال إذن نوعا من الوسيط للمدلول". [3]

وعليه تنتج الدلالة انطلاقا من تلك العلاقة القائمة بين الدال والمدلول .

2-2-سيميوطيقا بيرس:

اتخذت السيميائيات عند بيرس منهجا عقليا منطقيا،بيد أنه اعتبرها النظرية الصورية للعلامات،فأوسع بذلك نطاق فاعليتها،كونه ربطها بالمنطق لتصبح بذلك النظرية العامة

[1] –محمد إقبال بحروي، السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة عالم الفكر، مج24، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،ع 3،1997 .

[2] –سيزا قاسم، نصر حامد أبوزيد، مدخل الى السيميوطيقا، ص22.

[3] –جان كلود دومينجوز، بحوث سيميائية، تر:جمال بلعربي، ص50.

للعلامات، فكانت سيميائياته التي أطلق عليها مصطلح سيميوطيقا "ثلاثية الأساس والمنطلق على عكس سيميولوجيا دو سوسير الثنائية(دال ومدلول)".[1] ويتجلى ذلك واضحا من خلال تعريفه للعلامة.

إذ يقول:"العلامة أو **المصورة** representamen هي شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما بصفة ما،أي أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة أو ربما علامة أكثر تطورا،وهذه العلامة التي تخلقها **مفسرة** interpretant للعلامة الأولى.إن العلامة تنوب عن شيء ما وهذا الشيء هو **موضوعها** object ،وهي لا تنوب عن هذا الموضوع من كل الوجهات بل بالرجوع إلى نوع من الفكرة التي سميتها سابقا **ركيزة** ground المصورة".[2]

يمكن أن نفسر تعريف بيرس للعلامة باختصارها في ثلاثية واضحة، تتمثل في الصورة أو الممثل ،المفسرة، والموضوع.

أ-الممثل:

وهي "ما يسميه بعض المنظرين الحامل المادي للعلامة"[3]. أولى بيرس اهتماما واسعا بالممثل ليجعله أداة مجردة للتمثيل بعيدة كل البعد عن التعدد والتغير والاختلاف.

ب-المؤول أو المفسرة:

وتقابل المدلول عند سوسير ، ولكنها تختلف عن مدلول سوسير في كونها مشبعة ومتعددة الدلالات للممثل،عكس مدلول سوسير الذي يحيل مباشرة إلى الصورة الذهنية للدال.

بحيث يجعل لها احتمالات كثيرة تنتهي عند اختيار الذهن لإحداها، وقد يكون هذا الاحتمال ماضيا أو حاضرا أو حتى مستقبليا، ويرتبط ذلك أساسا بالمعنى الذي تحدثه العلامة في سيرورة لا متناهية، لكن "نهائية التأويل لا يناقض مفهوم السيرورة ولا يطغى في عملية التأويل، وإنما

[1] -نور الدين رايص، السيميائيات والتواصل، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، لأردن، ط1، 2016، ص19.

[2] -سيزا قاسم ، نصر حامد أبو زيد، مرجع سابق، ص26.

[3] -المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يؤكد أن السياق يسمح بتأويل العلامة بقدر ما يحمله وبقدر وجود العلامة ضمن سياق معين".[1]

ج-الموضوع:

"ويميز بيرس تمييزا فيه كثيرا من الدقة والفائدة في هذا الصدد بين نوعين من الموضوعات: الأول هو الموضوع الديناميكي...وهو الشيء في عالم الموجودات الذي تحيل إليه العلامة وتحاول أن تمثله...والثاني هو الموضوع المباشر...،وهذا النوع الثاني هو جزء من أجزاء العلامة وعنصر من عناصرها المكونة".[2]

يشير بيرس هنا إلى أن العلامة تندرج ضمن موضوعين أحده ما ديناميكي إذا كانت نتيجة لموضوعها أو مقترنة به، و الأخر مباشرا إذا ارتبطت بجزء من أجزاء العلامة.

2-3-الفرق بين سيميولوجيا سوسير وسيميوطيقا بيرس:

تباينت سيميولوجيا سوسير وسيميوطيقا بيرس واختلفت في بعض المواضع، حيث إن"سيمسوطيقا بيرس ثلاثية الأساس والمنطلق على عكس سيميولوجيا سوسير الثنائية (دال/مدلول)،وهي ثلاثية لايمكن تقليصها إلى تحليل ثنائي"[3].

وعليه فان تفسير بيرس أفضل من تفسير سوسير لكيفية اشتغال العلامة لإنتاج الدلالة،لأن الأول جعل للعلامة ثلاثة أقطاب "دال ومدلول ومرجع" بينما سوسير اعتمد على طرفين فقط، وهي أهم المآخذ التي وجهت للسانيات سوسير. من جهة أخرى، فان المبادئ التي ارتكز عليها سوسير في وضع أسس السيمياء تكمن أساسا في الدرس اللساني.

---

[1] -أمنة بلعلي، بحوث سيميائية، ص235.

[2] -سيزا قاسم،نصر حامد ابو زيد، مرجع سابق، ص28.

[3] -نور الدين رايص، مرجع سابق، ص19.

بينما كانت سيميوطيقا بيرس مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمنطق إذ أنه جعل المنطق مرادفا للسيميوطيقا اد يقول في تعريفه لها:"ليس المنطق بمفهومه العام الا اسما آخر للسيميوطيقا"[1].

وعلى كل غرار هذا، اختلف كل من بيرس وسوسير في إطلاق مصطلح واحد للسيمياء، فسماها سوسير السيميولوجيا، بينما أطلق عليه بيرس مصطلح السيميوطيقا.

"وقد اشتركا في قسمها الأول المفرداتي"السيمو"الآتي من الجذر الاغريقي séméion ، وتعني العلامة، وتتمتها في اللفظ الأول أنها علم،بينما في اللفظ الثاني منطق– حسب ما زعمه بورس–وبذلك يقصد فردنند سوسير علم العلامة، ويقصد بورس منطق العلامة"[2].

3–اتجاهات السيمياء:

شقت السيميائيات نهجها تبعا لما جاء في الدرس اللساني السوسيري، ومن ثم تمخض عن هذا الأخير عدة اتجاهات ابستيمولوجية خاصة بها.

وفي ضوء هذا وذاك تنوعت الاتجاهات السيميائية وعلى اثر هذا التنوع كان الاختلاف في تصنيفها وتقسيمها عند النقاد والباحثين فلكل طريقة ترتيبه لها. وقد قسمها بعضهم إلى ثلاثة اتجاهات ...التواصل،الدلالة،الثقافة.

[1] –جون ماري كلينكبارغ، مرجع سابق، ص18.

[2] –عز الدين لمناصرة، السيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2012،2013، ص03.

3-1-سيميولوجيا التواصل:

يمثل هذا الاتجاه كل من بويسنس، بريطو مونان وآخرون،استند هذا التيار على مبادئ سوسير اللسانية حول اللغة، وإضافة بعض الآراء إليها وتفصيلها. حيث أكد كل من "بريطو ومونان واندريه مارتيني وبويسنس على أن وظيفة اللسان الأساس هي التواصل، ولا تختص هذه الوظيفة بالألسنية وإنما توجد أيضا في البنيات السيميائية التي تشكلها الأنواع الأخرى غير اللسانية".[1]

ويضيف بويسنس فيقول"دراسة الوسائل المستخدمة للتأثير على الغير والمعترف بها بتلك الصفة من قبل الشخص الذي نتوخى التأثير عليه".[2]

يتضح من خلال كل هذا أن سيميولوجيا التواصل تسعى للبحث عن الطرق التواصل التي تؤدي إلى تحقيق التواصل.وتعنى بدراسة البنيات السيميائية سواء كانت لسانية أم غير ذلك التي تكون قصديتها التواصل.

3-2-سيميولوجيا الدلالة:

جاء هذا الاتجاه كرد فعل على سابقته، ويعد رولان بارت أبرز ممثليه، حيث يرى أصحاب هذا الاتجاه أن العلامات حاملة لدلالات متعددة تفهم بطرائق مختلفة ، والفاصل في ذلك هو اللغة .

"نحن نتواصل، توفرت القصدية أم لم تتوفر،بكل الأشياء الطبيعية والثقافية سواء كانت اعتباطية أو غير اعتباطية. لكن المعاني التي تستند الى هاته الأشياء الدالة ما كان لها أن

[1] -فيصل الأحمر، مرجع سابق، ص85.

[2] -مرجع نفسه،ص87.

تحصل دون توسط اللغة. إذ أن تفكيك ترميزية الأشياء يتم، بالضرورة، بواسطة اللغة باعتبارها النسق الذي يقطع العالم وينتج المعنى".[1]

بمعنى أن التواصل لا يقتضي بالضرورة وجود قصدية، فالتواصل حاصل سواء توفرت القصدية أم لا، فنحن نتواصل بالعلامات، وأينما كان هناك علامة هناك معنى، وحيثما وجد المعنى تأسس مشروع التواصل.

3-3-سيميولوجيا الثقافة:

تعود الجذور الأولى لظهور هذا الاتجاه إلى "فلسفة الأشكال الرمزية عند"كاسيرير" والى الفلسفة الماركسية ".[2] وقد ظهر هذا الاتجاه ليمزج بين سابقيه من الاتجاهين الدلالي والتواصلي، ويعد من أهم الاتجاهات السيمسائية لما له من أهمية كبيرة من حيث الجانب التطبيقي، وقد عمل رواد هذا الاتجاه إلى "اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية".[3]

وذلك إن إدراك الإنسان لعالمه الخارجي يعتمد بالأساس على الأنساق الثقافية التواصلية الدلالية.

وقد أقرت معظم الدراسات والأبحاث أن سيمياء الثقافة انقسمت إلى تيارين؛أولهما روسي، والذي تمثله جماعة (موسكو-تارتو) أبرز روادها يوري لوتمان و ايفانوف وتودوروف، وذلك اثر انعقاد مؤتمر "الدراسة البنوية لأنظمة العلامات" والذي تبلورت عنه مجموعة من المبادئ والمنطلقات، مفادها اعتبار الظواهر الثقافية أداة تواصلية دلالية، ومن هذا المنطلق يمكننا التأكد

---

[1] -مارسيليو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر :حميد لحمداني وآخرون، شارع يعقوب منصور الدار البيضاء،1987 ، ص06.

[2] -فيصل الأحمر، مرجع سابق، ص97.

[3] -مارسيليو داسكال، مرجع سابق، ص07.

أن سيمياء الثقافة تجمع بين سيمياء التواصل وسيمياء الدلالة. إضافة إلى ذلك، يقر أصحاب هذا الاتجاه أن العلامة لا تكتسب دلالتها إلا من خلال إدراجها ضمن الأنظمة الثقافية، " لذلك فهم يدرسون العلاقات التي تربط بين الأنظمة المختلفة كعلاقة الأدب بالبنيات الثقافية الأخرى كالدين و الأشكال التحتية الأخرى، ويحاولون الكشف عن العلاقات التي تربط تجليات الثقافة الواحدة عبر تطورها الزمني،أو بين الثقافات المختلفة أو بين الثقافة واللا ثقافة".[1]

وموازاة لهذا الاتجاه ظهر الاتجاه الايطالي أبرزهم أمبرتو ايكو الذي يرى إن العلامة لاتتحقق إلا إذا ربطناها بالسلوكات المبرمجة للأشخاص، فيحدث بذلك التواصل الذي يؤدي نسقا دلاليا،ويرى في "الأنساق الدلالية،ثمانية عشر نسقا، وقد انطلق في هذا التصنيف من أنساق التواصل".[2]

4-الألوان:

4-1:الألون في الذاكرة الاجتماعية:

تلاحقنا الألوان في كل تفاصيل الكون ،فأينما غدينا هناك ألوان، وعلى اختلاف تدرجها توسعت مدلولاتها، إذ للون الواحد قراءات سيميائية غير متناهية.

وحتى القدامى الذين لم يعرفوا السيمياء كعلم محض و خالص كان لهم حضور كبير في إعطاء اللون جملة من التفسيرات، فهم تمكنوا من استنطاق اللون واستظهار مختلف الدلالات التي يصب فيها.

[1] -فيصل الأحمر، مرجع سابق، ص99.

[2] -عز الدين لمناصرة، مرجع سابق، ص47.

"احتلت الألوان منزلة مميزة منذ القدم، فكانت الأساس لكل الأعمال الفنية التي تصور حياة الإنسان في مختلف ميادينها،عبر فيها عن انفعالاته وقيمه،فأكسبها دلالات معينة،وجعلها رموزا متنوعة تنوع آلامه وآماله:الحياة والموت،الأمل والخيبة،الحزن والفرح،الهزيمة والنصر"[1].

"وكان من الطبيعي أن نجد أحيانا بعض التعارض في دلالة اللون الواحد ورمزيته،مابين منطقة وأخرى ،وبين حضارة وأخرى، أو بين زمن وزمن آخر مختلف، أو حتى داخل الحضارة الواحدة والمنطقة الواحدة، والمرحلة الزمنية الواحدة، وما ذلك إلا لأن هذه هي طبيعة البشر وطبيعة الطبيعة التي يعيشون فيها...وطبيعة نظرتهم إلى هذه الطبيعة".[2]

الألوان إذا ظاهرة قديما قدم الإنسان، فقد كانت ترجمانا لأحاسيسه ومكنوناته، إذ استطاعت كسر حواجز عجزت اللغة في حد ذاتها البوح بها.

وما اختلاف دلالات رمزية الألوان إلا نتاج لاختلاف الذوق الشخصي لكل فرد، وكذا اختلاف الثقافات والعصور.

"شكل اختيار اللون لدى الإنسان نوعا من أنواع اللغة الدلالية الشاهدة وغير المنطوقة، لكنها قادرة على البوح بأشياء كثيرة نظرا لما تبثه من ترميز وإحالات ذهنية فالألوان ظاهرة ثقافية وليست مسألة غريزية أو فطرية لأن العوامل الثقافية هي التي تحدد اختيار وتفضيل الألوان ".[3]

إذ تستطيع الألوان لتعبير عن هوية الشعوب وتمثيلها في الملبس مثلا كالدشداشة العربية والساري الهندي أو التلميح إلى ديانة معينة كملابس الرهبان اليهود المصنوعة باللون الأصفر الزعفراني أو المعطف الأسود الطويل الذي يلبسه حاخامات اليهود.[4]

---

[1] –كلود عبيد، مر:محمد حمود، الألوان (دورها،تصنيفها،مصادرها،رمزيتها،ودلالتها)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص10.

[2] –كلود عبيد، مرجع سابق،ص08.

[3] –ناجي عباس مطر، سيميوطيقا اللون –دراسة ثقافية–، مجموعة مقالات المؤتمر للمؤتمر الدولي الثالث حول القضايا الراهنة للغات اللهجات وعلم اللغة، جامعة دي قار،العراق، 2019، ص04.

[4] –ينظر المرجع نفسه، ص04.

وعليه فاللون مرآة عاكسة لثقافة الشعوب ، إذ يعتبر مفتاحا للاطلاع عليه، لأنها تستعمل كأدوات للتعبير عن الأحوال والمواقف، وصور تعبيرية دالة لرمزية ومكثفة بالمعاني.

وتختلف الإيحاءات اللونية من شعب لآخر وداخل الحضارات، إذ لكل منظوره الخاص من اتجاه اللون حيث :"يستخدم اللون الأبيض في بعض مناطق إفريقيا للدلالة على من يرتديه بات مؤقتا خارج الجسم الاجتماعي (الأرامل ،الشباب الذين تجرى لهم عملية الختان).

هذا الأبيض البارد الذي ترتديه الأرامل هو بياض تاريخي، أمومي، مصدر، ينتظر العصا السحرية لإيقاظه."[1]

إضافة إلى كل هذا "في القرون الوسطى كانت ثياب الأطباء خضراء (يعالجون بالنبات)،... الأخضر لون العطارين الصيادلة الذين يحضرون الأدوية والعقاقير.أما الإعلان الصيدلي فقد عرف كيف يفيد في هذا الاعتقاد القديم بإعطائه قيمة ميثولوجية."[2]

وقد ارتبطت الألوان ارتباطا وثيقا بالديانات القديمة، فقد أعطوا لكل اله من آلهتهم لونا يمثله:"كل الأديان، البدائية أو غيرها، كانت تتصور آلهتها ذات ألوان براقة؛ لأن الآلهة تسكن دائما في السماء التي منها تسطع الشمس والقمر والنجوم وقوس قزح ... في اليونان القديمة،كان الأصفر أو الذهبي مخصصا للآلهة أثينا...،وكان اللون الأحمر مخصصا للآلهة سيريس، إلهة الحصاد، وكان ديونيسوس اله الخمر، ذا وجه أحمر وكان لون ايريس هو لون قوس قزح"[3].

وحتى في العادات والتقاليد كان للون حضور مميز؛ فمناسبات الفرح تختلف تشكيلة ألوانها عن غيرها من المناسبات، كمراسيم الزفاف مثلا حيث:"كان الأحمر والأصفر لوني الزواج في

---

[1] –كلود عبيد، مرجع سابق،ص57.

[2] –المرجع نفسه، ص94.

[3] –فيبر بيرين، تر:صفية مختار، مر:محمد إبراهيم الجندي،الألوان والاستجابات البشرية،مؤسسة هنداوي سي آي سي ،المملكة المتحدة 2017، ص18.

مصر والشرق وروسيا وجزر البلقان، ومازالا كذلك وفي البلدان الغربية،كان الأزرق هو لون العبادة"[1].

وللحزن أيضا ألوان معينة تمثله وتدل عليه:"اللون الأسود ،فهو اللون العالمي للحداد بين الشعوب الغربية تقريبا؛ لأنه يشبه مظهر الموت تماما ".[2]

وفي الأخير تبقى الألوان مجالا مفتوحا غير محدود الدلالة والتأويل، سواء أكان داخل التراث القصصي المليء بقصص الألوان أم كان عند الحضارات القديمة التي اعتبرت اللون شيئا معبرا عن مقدساتها وتاريخها.

4-2-تأثير الألوان على سيكولوجية الإنسان:

إن للألوان تأثيرا كبيرا على النفس الإنسانية ، فهي توقظ بداخلها عدة أحاسيس، وتزعزع مشاعر لطالما ارتبطت بأشياء معينة خزنت في الذاكرة، فقد تكون بعضها رمزا للأمل في حين البعض الأخر قد يكون تذكيرا بالألم و الآهات.

"أثبتت الدراسات الحديثة، أن للألوان تأثيرا على خلايا الإنسان، إذ لكل لون موجة معينة، وكل موجة لها تأثير على خلايا الإنسان، وجهازه العصبي، وحالته النفسية"[3]

فالألوان إذن هي حلقة لا متناهية الدلالات النفسية التي تحيط بالحياة، ولهدا راح البعض ليفتش في الدلالة التي يوحي بها اللون الواحد، وعلى الأرجح تكون هذه الدلالة موحدة عند الجميع.

فمن المتفق عليه عند علماء النفس مثلا اللون الأحمر هو لون الحب والأزرق لون الحماس.

---

[1] -فيبر بيرين، مرجع سابق، ص24.

[2] -المرجع نفسه، ص25.

[3] -كلود عبيد، مرجع سابق، ص10.

"اللون الأحمر يثير الانتباه خصوصا المهام المرتبطة بالذاكرة، في حين اللون الأزرق يشجع على الإبداع...كما كشفت بعض الدراسات أن ضوء اللون الأزرق يساعد المخ على استيعاب مشاعر الآخرين، وأن هذا الضوء يسهل عملية التواصل العاطفي"[1]

"ألوان أخرى تندرج ضمن التصنيف الكبير من الأصبغة المضمرة، كالأسود والبنفسجي(اللون الداكن والرمادي على العموم) من شأنها الإشارة إلى حرمان مؤقت، وأبدي أيضا، من الانتماء إلى جماعة ما"[2]

واللون الأخضر والأزرق، يبعثان الراحة النفسية والاطمئنان في النفس البشرية، فالأخضر لون التفاؤل والطبيعة، يبث الحياة في الروح الإنسانية، أما الأزرق فهو رمز النبل والأمان، اذ يبعث نوعا من السلام بداخل الفرد ويشعره بالارتياح.[3]

من خلال كل هذا الاختلاف الموجود باختلاف تدرج الألوان، يمكن القول بأنه في غالبية الأحوال تكون الألوان الداكنة رمزا لليأس والمعاناة في حين الألوان الفاتحة عنوانا للتفاؤل والاستمرارية.

ومتى كانت الألوان لصيقة الحياة الاجتماعية ، كان لها أثر في كل ما يحيط بالإنسان يتعلق به من مأكل وملبس ومشرب...، ليتعدى إلى ما دون ذلك، فالإشهار اليوم يعتمد على الصورة الملونة لكسب كم هائل من الإقبال قصد تحقيق غاية معينة، نظرا لتأثير الألوان على النفس حتى تستجيب بشكل كبير في هذا الشأن، كما أن الألوان تمازجت مع العديد من الفنون، فالموسيقى مثلا توطدها علاقة بائنة بالألوان "إن اللون–مثل الموسيقى–...تنتج الألوان بتنويع تردد ذبذبات الفراغ المؤثرة على شبكية العين. وكل الأصوات الموسيقية تنتج بتنويع تردد ذبذبات

---

[1] –كلود عبيد، مرجع سابق، ص23.

[2] –مانليو بروزاتين، تر:السنوس استبيته، مر:نجم بوفاضل، قصة الألوان، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، مملكة البحرين، ط1، 2018، ص38.

[3] –ينظر ابن حويلي الأخضر ميدني، الفيض الفني في سيميائية الألوان عند نزار قباني، مجلة جامعة دمشق، مج:21، ع:(3،4)،2005، ص115.

الهواء التي تؤثر على الأذن. كل من اللون والصوت إذن ناتج عن ذبذبات تؤثر على نهاية العصب سواء بالنسبة للعين أو الأذن"[1].

تشترك الألوان والموسيقى إذن في كونها تؤثر على الشخص وتجعله يتفاعل مع ذبذباتها فتثير فيه نوعا من الانفعال ليولد هذا الأخير شعورا معينا يترجم على مستوى النفسية.

يبقى اللون يحرك أحاسيس غريبة لدى البشر، إذ يستفز وجدانهم بشكل عفوي تلقائي، لتقف اللغة في حد ذاتها بكماء عن الإفصاح عما يريد قوله هذا الإحساس المغمور داخل الروح الإنسانية.

[1] –أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط1982،1، ط1997،2، ص177،178 .

الفصل الثاني

الوصف في ثلاثية محمد ديب دلالات وجماليات

ارتسمت معالم الحرية في ثلاثية محمد ديب فأبانت على قيام الثورة الجزائرية، وجاءت باللسان الفرنسي لتكون جسر عبور للقضية الجزائرية حتى تدون في المحافل الدولية.

❖ نبذة عن الكاتب محمد ديب:[1]

ولد محمد ديب بمدينة تلمسان في 21 جويلية 1920 م،وانحدر من(أسرة بورجوازية حرفية،اشتغل أبوه في التجارة وصناعة الزرابي)،لم يتردد محمد ديب على المدرسة القرآنية لحفظ القرآن الكريم، ولكنه بدأ دراسته بمسقط رأسه وواصلها في مدينة وجدة بالمغرب الأقصى،فأتقن اللغتين الفرنسية التي تعلمها في المدارس الفرنسية، واللغة العربية الدارجة ، واتخذ الأولى وسيلة للتعبير (الكتابة) في حين كانت الثانية وسيلة للتفكير.

بدأ محمد ديب في نشر نصوصه في المجلات والصحف الناشطة مند سنة (1946م) ومن بين تلك المجلات مجلة forge التي نشر فيها سنة (1947م) قصيدته véga ،وفي سنة(1948م)، استدعي للقاءات منظمة في سيدي مدني قرب مدينة البليدة، حيث جمعت تلك اللقاءات بين الأدباء الفرنسيين و الجزائريين.

وفي السبعينات من القرن الماضي (أقام محمد ديب بالولايات المتحدة من أجل إلقاء محاضرات في جامعة كاليفورنيا، وفي عام 1975 سافر إلى فنلندا لحضور مناقشة أدبية)،وبقي حتى سنة 1980م بين رحلاته إلى فنلندا وأمريكا حيث كانت نشاطاته وإسهاماته واسعة عبر حضوره للقاءات أدبية ونشره لمقالات وإلقاء محاضرات جامعية.

[1] –عالية زروقي، الإبداع الأدبي لمحمد ديب بين المسؤولية الوطنية والمواكبة الحضارية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع2،ديسمبر 2014م، ص234،233.

أصيب محمد ديب سنة (1984م) بمرض عضال، أودي بحياته في الثاني من شهر ماي رحل الرجل العظيم تاركا اسمه ومكانته خالدة في الموسوعة السوفيتية الكبيرة سنة 1970م،سنة (2003م) ودفن بفرنسا.

1-ملخص الثلاثية:

1-1-شكلا :

ثلاثية"الدار الكبيرة، الحريق، النول"هي ثلاثية روائية للكاتب الجزائري محمد ديب،كتبت في الفترة الممتدة مابين 1939 إلى 1954 ،إذ لكل رواية تاريخ معين،كتبها محمد ديب باللغة الفرنسية،لكن محتواها كان يتحدث عن الحياة الاجتماعية للجزائريين أثناء الفترة الاستعمارية،ترجمت هاته الرواية إلى اللغة العربية، وقد تناولنا ترجمة الدكتور سامي الدروبي، الذي جمعها في كتاب ضم 400 صفحة ،استهلها بمقدمة له، تناول فيها الحديث عن الرواية بمجملها ثم قام بترجمة كل رواية من الروايات الثلاث. وقد تم نشر هذا الكتاب من طرف دار الوحدة للطباعة والنشر في بيروت(لبنان).

1-2-مضمونا:

أ- الدار الكبيرة:

-"هات قليلا مما تأكل.

قال عمر ذلك، وهو يقف أمام رشيد بري".[1]

[1] -محمد ديب ، مصدر سابق، ص13.

هكذا استهل محمد ديب روايته الدار الكبيرة ،ليصور بذلك رحلة الجوع التي كان يعاني منها الشعب الجزائري إبان الاستعمار.

تدور أحداث الرواية في مدينة تلمسان ، بالتحديد في الدار الكبيرة أو دار سبيطار ،وهي عبارة عن مجمع سكني يقطن فيه مجموعة كبيرة من السكان،يعانون الفقر والجوع والحرمان ، تحت بطش الاستعمار الجائر ، بطل هذه الرواية في الثانية عشر من العمر ،يدعى عمر.

يفتح عمر إلى هاته الدنيا ،ليجد نفسه وأهله في متاهة الجوع واليتم والحرمان ،في وسط مجتمع كان أكبر همه الحصول على قطعة خبز يسد بها جوعه .

- يرى عمر أمه وهي "لا عيني" والتي تعتبر المعيل الوحيد للأسرة بعد وفاة زوجها وكيف أنها كانت تكابد وتناضل في سبيل الحصول على تلك اللقمة التي تسكت بها جوع أخواته وحتى جدته التي كانت تعتبر عبأ اقتصاديا مضافا لعيني ، وكانت "عيني"في كثير من الأحيان تلجأ إلى حيلة معروفة تستعملها كثير من النسوة ، حيث أنها كانت تضع الماء في الإناء وتتركه يغلي لعدة مرات ، حتى يفتك التعب بالأطفال فيغلبهم النعاس ، لينسوا أمر الجوع .

وغير بعيد عن أسرته لا يختلف الحال كثيرا مع جيرانه ، فدار سبيطار عبارة عن سجن تعلو فيه أصوات النسوة اللواتي يعبرن عن سخطهن عن هاته الحياة المشؤومة بالشجار تارة وبالسخرية تارة أخرى .

على الرغم من قساوة الظروف ، إلا أن عمر كان يتلقى تعليمه في المدرسة ، والتي لعلها كانت الخلاص الوحيد للهروب من ذلك السجن الأسود . يفهم عمر في المدرسة جيدا ، من خلال أستاذه حسن أن أرضه مغتصبة ، وأنه لابد له أن يتكيف مع واقعه في ظل الأوضاع السائدة ، لكن داخله نار صامتة لا يطفئها إلا الثورة على هذا المستعمر المستبد .

يختتم ديب الرواية، بالحديث عن ظهور بوادر حرب عالمية ثانية ، وكيف أن الشعب الجزائري كان على أمل أن هاته الحرب ستكون في صالحه ، بيد أنه لم يفهم إلى حد تلك الساعة أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة .

وفي الأخير يصور محمد ديب مشهدا قاسيا يتحدث فيه عن مرارة الجوع ، حيث يتوسل عمر إلى صاحب المخبزة "قدور" ليعطيه الخبز قائلا :"عم قدور ، الله يخليك ، تعالى أعطيني خبزي، الله يغنيك ، إن شاء الله تحج إلى مكة ".[1]

وبعد الكثير من الإلحاح من عمر، يرمي إليه قدور الخبز، فيحتضنه عمر وكأنه حاز على الدنيا وما فيها.

تحت كل هذه الصور التي تفنن محمد ديب في رسمها ، يمكن لنا أن نتخيل مرارة العيش والبؤس الذي كان يكتنف الشعب الجزائري في تلك الفترة .

ب- الحريق :

ينتقل عمر في رواية الحريق ، إلى قرية بوبلان ، مع رفيقته زهور ليعمل في الفلاحة.

لم تكن القرى بأحسن حال عن المدن، لقد كان الفقر باديا بشكل واضح على وجوه الفلاحين، جراء الاضطهاد والقمع الذي كانوا يتعرضون له من قبل المستوطنين، الذين سلبوا أرض القرية ونسبوها لهم وجعلوا سكانها عبيدا عندهم.

يرى عمر أن القرية المترامية في أحضان الطبيعة ، بمثابة الجنة التي حرم منها طيلة وجوده في الدار الكبيرة –سجن الحياة– على الرغم من قساوة الحياة هناك ،يقول محمد ديب : "كان تنبعث في عمر حياة جديدة . وكانت دار سبيطار تبدو له في هذه اللحظة أشبه بسجن رهيب ،

[1] –محمد ديب ، مصدر سابق ، ص113.

وتلك النسوة اللاتي تقلبن الدار أثناء فورانها المألوف رأسا على عقب ، يبدون له غيلانا لا يحتمل ولا يطاق".[1]

يتعرف عمر في هاته القرية على كومندار ، وهو رجل غرست جذوره في أرض بوبلان وتغلغلت فيها كتغلغل جذور أشجارها ، لطالما اعتبره أهل القرية رمزا للحياة ، رمزا للانتصار على الموت ، ذلك أنه استطاع النجاة بعد أن لحق به الموت من كل صوب. فازداد عمر بهذا التعلق أكثر وأكثر بهاته القرية بملامحها بأشخاصها بكل شيء يخصها. تتوالى الأحداث بعدها وتضطرب المشاعر فيها بين الرضوخ لحالة اليأس والاستسلام للواقع، وبين التفاؤل ورفض الذل والانكسار مرة أخرى .

ينضم بعدها عمر إلى مجموعة من الفلاحين ، ليتعلم أسرار التعامل مع أرضه وأرض أجداده، فيتعرض هو والفلاحون الذين معه للاستعباد ،الظلم والجور من طرف المستعمر، فيستفيق الفلاحون على واقعهم المرير ، ويقومون بتأسيس تنظيم سياسي للفلاحين ، ويضربون عن العمل تعبيرا منهم عن سخطهم عن الحالة البائسة التي يعيشونها .

ينشب حريق في أكواخ الفلاحين ، هذا الحريق الذي يعبر عن النار المشتعلة داخل الذات الجزائرية المهمشة ، والتي كانت توحي ببوادر ظهور وقيام الثورة في خضم هذا الكم المتراكم من الظلم والقهر والاستعباد . وبعد كل ما عاشه عمر من صراع داخل تلك القرية التي حمل من آمالها آلامها ما يجعله يناضل من أجل أرضه من غاشم لا تعرف الرحمة إلى قلبه سبيلا ، عاد بعدها عمر إلى دار سبيطار ليكمل مشوار حياته ويتم تفاصيل هذا الشقاء بكل ما أوتي من صبر وقوة.

[1] – محمد ديب ،مصد سابق ، ص 122.

ج-رواية النول:

في رواية النول يمضي بنا محمد ديب إلى بيئة أخرى،هي بيئة العمل،حيث ينقطع عن الدراسة،ولايعود إليها بعد العطلة الصيفية إذ تضطره الظروف للبحث عن العمل،وكان حينما تضيق به الدنيا بما رحبت،يهرب إلى آلة النول فيعزف على أوتارها لحن البؤس والألم ويمزجها بنكهات من التفاؤل طمعا في بزوغ فجر يوم جميل حر.

يعمل عمر في معمل النسيج،الذي طغى على المدينة بأكملها، إذ أن أغلب السكان لجؤوا لهذا العمل طمعا منهم في التخفيف من جوعهم وجوع أسرهم.إلا أن حالة الشقاء التي كان يتخبط فيها هؤلاء العمال لم تكن بالقليلة أو الهينة أبدا، فقد برع ديب أيما براعة في تشكيل وتصوير هاته المعاناة، التي طالما كان المستعمر يتفنن في تطبيقها،في محاولة منه لطمس الهوية الجزائرية، الأمر الذي لم يكن باستطاعته تحقيقه،على الرغم من هول الحياة التي كان يعيشها الشعب إلا أنه ظل متمسكا بأرضه وهويته ولم يزده ذلك إلا قوة وإصرارا على تنفيذ قراره لإطفاء اللهيب المشتعل في قرارة نفس كل جزائري.

لم تكن ثلاثية محمد ديب إلا رواية ارتبطت ارتباطا وثيقا بالحياة وبالواقع الذي كان يعيشه الشعب الجزائري على طول فترة الممتدة من 1939 إلى 1954 عام اندلاع الثورة، فكان محمد ديب الكاتب الجزائري الأصيل الذي عبر عن هويته بكل فخر وامتنان،فصور آلام شعبه وكأنه يتحدث عن ألمه،فكانت ثلاثيته من أهم الروايات وأبرزها في الأدب العربي عامة والجزائري خاصة.

تمكن محمد ديب في ثلاثية "الدار الكبيرة ،الحريق ،النول" من اللعب على الألوان ، والعزف على أوتارها ، حيث من خلالها صور الحياة في تلك الفترة وفي تلك البيئة على اختلافها من

دار سبيطار ، إلى ريف بوبلان أو في مصنع النسيج ، وجعل الصورة قريبة من ذهن القارئ،سواء في وصفه للأشخاص،الزمان والمكان،وحتى في وصفه للتراث المادي.

2-جمالية الألوان في وصف الشخصيات:

أتقن محمد ديب استخدام اللون داخل الثلاثية في وصف الشخصيات ليجعلها صورة حية حقيقية ،داخل المخيلة ،إذ وصفها على ما هي عليه بأسلوب رائع .

2-1-في رواية الدار الكبيرة:

"كان أحدهم، اسمه إدريس بلخوجة ،وهو صبي غبي متكبر،... كان لإدريس رفيق يحمل عنه حقيبته الجلدية المطرزة بالفضة والذهب ، عند الخروج من المدرسة في الساعة الرابعة ".[1]

فهنا يتقن فن التصوير ، باستخدام مصدر اللون لا اللون في حد ذاته. ففي وصفه لشخصية إدريس ركز على وصف حقيبته وأكد على الطرز بالذهب والفضة ، عوض أن يقول ذات اللونين الفضي والذهبي ، إذ انزاح بوصفه من عادي مباشر إلى أبعد من ذلك ، وهذا من أجل إيصال فكرة الترفع والغنى .

فهو إن صح التعبير يصرح بأسلوب غير مباشر بسياسة الطبقية المعتمدة من طرف فرنسا آنذاك، ويكشف اللاعدل ، إذ أن أبناء العملاء الفرنسيين في بذخ على عكس أبناء العامة من الشعب الذين لا زال همهم الوحيد الجري وراء الخبز.

"كانت الجدة ماما راقدة وراء عمر. لقد تسلموها أمس.آواها ابنها ثلاثة أشهر ، وجاء الآن

[1] -محمد ديب، مصدر سابق، ص16،17.

دور عيني لتعيلها ثلاثة أشهر أخرى . إن الجدة ماما مشلولة . لكنها محتفظة بصفاء فكرها : إن نظرتها الزرقاء الواضحة لا تزال على حالها القديمة مع الالتماع ".[1]

النظرة الزرقاء دلالة على تكبد الألم فهي علامة لمن تحدى كل هذا ليبقى ، فقد امتصت منها السنون الطويلة المصقولة بالألم دمها الأحمر ونظارة وجهها ، فكان الأزرق عنوانا لحالتها.

ليست الجدة ماما فحسب من جرحها الزمن في تلك الدار الكبيرة ، بل هي اختزال لعدد كبير من أمثالها سواء داخل دار سبيطار أو خارجه في أي زاوية من ربوع هذا الوطن المنهوك.

وهنا في وصفه لرجل الشرطة ذو البذلة البنية الفاتحة يقول:" وغورت طائفة الشرطة في الدهليز. كان يخب بينهم رجل قصير سمين يرتدي بذلة بلون بني فاتح ، ويتحاشى أن يلمسه أحد مخافة أن تتسخ ملابسه".[2]

إن محمد ديب لفي غنى تام أن يذكر لون بذلة الشرطي حتى يتحدث عنه ، وإنما يريد أن يقول من خلاله ، أن اللون البني هو لون الأرض ، لون "التربة" إذ يدل على الاستقرار، وكأن هذا المستعمر يستفز الشعب الجزائري بهذا اللون كأنه يقول له إنني اغتصبت أرضك وأنا السيد فيها ، لتزداد نار الثورة تأججا بداخل صدور الجزائريين دون أن تنفجر.

وفي وصف مريم أخت عمر، وهي منهمكة في أكل الطعام يقول محمد ديب :"قالت عيني عندئذ لمريم مهددة : ليس الطعام لك وحدك يا مريم... فرفعت مريم رأسها، وهي صغراهم، فرأتهم جميعا يحدقون إلى بياض عينيها . فخفضت رأسها ".[3]

---

[1] –محمد ديب، مصدر سابق، ص24.

[2] – مصدر نفسه، ص30.

[3] – المصدر نفسه، ص37.

بياض العينين لوحة فنية متعددة القراءات ، ولعله أراد من خلالها إيصال فكرة الجوع الشديد، الذي راح ضحيته شعب أرادوا أن يحولوه بالقوة إلى قطيع من الغنم همه الوحيد هو المرعى ، هذا الجوع الرهيب جعل الفتاة تأكل بشراهة دون اكتراث لمن يراقبها وهي في لهفتها تلك .

"لقد رقدوا جميعا دون أن ينظر بعضهم إلى بعض . كانوا يقولون لأنفسهم: وجوه كلاب.وجوه نحس.وجوه صفراء".[1]

" إن ابنة العم الصغيرة امرأة قزمة دلفت إلى الشيخوخة هي أيضا، إن شعرها الأجعد يبيض ، وهي مبتسمة دائما.حقا أن وجهها يشبه وجه امرأة من الزنوج. لونها أصفر،...وهي تمت إلى الأسرة بقربى بعيدة ، ولعلها لاتمت إليها بأية قربى. ولكنها كانت تخاطب عيني بقولها:"يا ابنة العم".مسكينة منصورية".[2]

إن اللون الأصفر الذي طغى على ملامح منصورية وسكان دار سبيطار إن دل على شيء فإنما يدل على مهالك الفقر والجوع التي ألمت بأسرتها.

إن اللون الأصفر قرين بفصل الصيف، إذ يدل على الحرارة والجفاف ، ونقص الماء ...

ولعل هذا الصيف قد جاء متلهفا ليقتل اخضرار الربيع الزاهر، فتظهر علامات الكبر والذبول على منصورية هذه، بالرغم من أنها لا تزال ترغب في الحياة بعد.

وفي ذكره لحميد سراج استعمل ألوانا خاصة لوصفه"إن أغرب ما فيه هو تعبير عينيه الخضراوين، الصافيتين أشد الصفاء ،...كان ينذر أن لا يرى المرء من جيوب سترته العريضة

[1] –محمد ديب، مصدر سابق، ص38.

[2] –المصدر نفسه، ص100.

القديمة الرمادية كتبا كانت أغلفتها وصفحاتها تنفصل ولكنها لا تضيع ،لأن حميد لا يدعها تضيع أبدا ".[1]

حميد سراج المناضل الشجاع ذو العينين الخضراوين الصافيتين ترمزان للطهارة والوفاء...

أما السترة وجيوبها الرمادية هي عاكسة لفحوى الكتب التي ألفها وأنها لا تحمل سوى الآهات وتاريخ الشعب الذي أدماه الاستعمار.

"مضى يوم. ثم ثان. ثم ثالث.البؤس يجعل الناس في دار سبيطار حزانى. وسكان غرفة عيني لا يزالون كما كانوا دائما ،مع زيادة قليلة في الفقر... الوجوه في البيت تتحفر تزداد سمرة ".[2]

السمرة إشارة إلى الكآبة والهم والغم في دار سبيطار، فهذه السمرة تحمل معنى الذبول، وكأن الناس في هذه الدار يموتون ببطء.

2-2-في رواية الحريق:

"لقد التقى عمر هنالك بأطفال أشقى منه، أطفال كأنهم الجراد من فرط هزالهم ونحولهم.إن ملابسهم لا تعدوا أن تكون خرقا مجمعة...أن أعينهم الكبيرة التي تمتزج في حدقتها الأشهب والأخضر تبحلق بحلقة غريبة في هذه الأراضي المجدبة التي تركت لهم".[3]

إن عمد الكاتب لإدخال اللون الأشهب على الأخضر في وصفه لعيون أطفال قرية بوبلان، يدل على حالة الخضوع والكبت الذي كان يكتنف صدور هؤلاء الأطفال، كونهم استسلموا لواقعهم المرير.فحياة الأطفال عادة يحتضنها الفرح والأمل إلا أن هؤلاء الأطفال كان قدرهم غارقا في وحل الوجع والشقاء.

---

[1] – محمد ديب، مصدر سابق ، 44.

[2] – المصدر نفسه ، ص 89.

[3] – المصدر نفسه، ص118.

"إن عمر لم ير كومندار واقفا في يوم من الأيام.كان الشيخ العجوز يلف ساقيه المبتورتين عند الركبتين بخرق بالية، يشد فوقها عصائب من المطاط الأحمر".[1]

إن لجوء الكاتب للون الأحمر في وصف العصائب الملفوفة في رجل كومندار ما هي إلا إشارة توحي بمدى صلابة هذا الرجل،وبمدى هول النيران المشتعلة في صدره المتشوقة للحرب ضد هذا المستعمر الغاشم،كيف لا وهو الذي ضحى بنصف جسده لتعيش أرضه حرة مستقلة، لكن العدو غدر به وبأمثاله من الشرفاء، ليصبح هذا الرجل الذي هرب من أحضان الموت ليرتمي في أحضان الحياة بمثابة المنبع الذي يستقي منه أهل القرية روح الأمل.

"أما النساء في بني بوبلان فقد لوحتهن الشمس صرن بلون العسل.إنهن كالذهب.ومع ذلك لاشيء من هذا يدوم لهن طويلا".[2]

أبدع ديب أيما إبداع في وصف المرأة في ريف بوبلان حيث شبه لون بشرتها بلون العسل،وإنها الذهب في حد ذاته ،أي أن جمالها فاق الحدود،على الرغم من قساوة الحياة عليها. لكنها سرعان ما ترجع إلى الانكسار والذبول مرة أخرى في ظل الاستعباد الذي أنهك جسدها.

"إلا أن بن أيوب لرجل...انه رجل شهم شجاع ...انه قاس، صلب،...إن شاربيه الطويلين الأبيضين يتهدلان على الجانبين تهدل جلد السوط".[3]

الشاربان الأبيضان رمز الحكمة والوقار رمز الكبر في العمر والشقاء،فان ابن أيوب رجلكبير في السن حكيم شجاع صادق أمين إلا أنه لا ينفك أن يترك عمله في أرضه، تلك الأرض التي لطالما تعلقت روحه بها وتأصلت جذوره فيها.

---

[1] – محمد ديب ، مصدر سابق، ص123.

[2] – المصدر نفسه، ، ص136.

[3] – المصدر نفسه، ص151.

"لا يزال بن أيوب يعمل كثيرا...وأنك لتعرفه من بعيد في أي وقت من الأوقات حين تنظر إلى الحقول،فترى الحزام العريض الأحمر الذي يتلفف به مزنر أعلى سرواله ورفارف قفطانه الأشهب الضارب إلى زرقة.انه لا يكاد يرتاح من العمل إلا بضع دقائق من يوم الجمعة عند صلاة الظهر"[1].

هذا الوصف الدقيق يؤكد ما ذكرناه سابقا عن شخصية ابن أيوب فرزانته وحكمته ترجمت في لوني قفطانه بين الأشهب والأزرق،وشجاعته و حكمته فسرت بلون حزامه الأحمر.

"حدق الشرطي بعينيه الصغيرتين المخضلتين إلى حميد سراج.وهز في الهواء يديه الخارجتين من كمي سترته الزرقاء"[2].

كان التطرق من طرف الكاتب إلى اللون الأزرق في سترة الشرطي في قمة النباهة،وذلك ليفسر للقاريء حالة الراحة و الاطمئنان التي كان يعيشها الفرنسيون في هذه الأرض المباركة على عكس الأهالي المستعبدين الذين يعيشون في حالة اضطراب مخيف.

"كان رجل الشرطة والمعتقلون يسيرون صفوفا مرصوصة بخطا سريعة، فما تنفك تظهر وجوه شهباء كأنها أشباح".[3]

على الرغم من الحقد الذي اكتنف نفوس المزارعين في إبادة هذا الاستعمار،إلا أن أرواحهم كانت متعبة وأجسادهم منهكة،شهباء توحي بالخوف الذي جرى في أجسادهم مجرى الدم في العروق،واستوطن في عقولهم استوطان الغاشم في أرضهم.

[1] –محمد ديب، مصدر سابق، ص152.

[2] –المصدر نفسه، ص207.

[3] –المصدر نفسه ،ص236.

2-3-في رواية النول:

يصف محمد ديب السكان الذين قدموا إلى ريف بني بوبلان فيقول:"كانت شخوصهم المتفككة،السمراء،الوسخة، تتسكع جميع الشوارع.إنهم يجرون أنفسهم في كل مكان"[1].

هؤلاء الذين تحملوا مشقة قطع مسافات كبيرة قصد هذا الريف،علهم يجدون حياة تنتظرهم هناك،في وصفهم يقول وجوه سمراء؛هذا اللون الذي صبغت به وجوههم بسبب الشقاء والمعاناة فهم في غير بيئتهم الأصلية،هم بالنسبة لسكان ريف بني بوبلان غرباء دخلاء...

فما سمرة الوجه هذه سوى صورة عاكسة لمعنى كلمة غريب يعاني ويلات التأقلم في غير موطنه.

وكذلك في وصف المعلم بوعنان يؤكد على اللون الأحمر"لم يأت المعلم ماحي بوعنان إلا في نحو الساعة الرابعة.هو ذا يصل الآن متلففا بقباء أحمر من وبر الجمل،وقد انتفخ القباء بالماء وتصلب.ان كل حديث قد انقطع من قبل أن يصل الى آخر الدرج،وتضاعف نشاط الأنوال."[2]

هنا جاء الأحمر ليعبر عن الاحترام و الهيبة، فارتداء المعلم لبرنوسه الأحمر إنما لإثارة الانتباه فهو شخصية قوية صارمة وذات حضور.

" كانت عيوشة قد أصبحت تلك الفتاة الطويلة النحيفة المتكسرة،التي يعرفها الناس في دار سبيطار...ان لباسها ثوب يتهدل من أعلى الكتفيين إلى أخمص القدمين،...و إن لها وجها رثا أشهب، وقسمات مهدمة فقدت كل ما للصبا من نظارة الصحة".[3]

---

[1] –محمد ديب ، مصدر السابق، ص281.

[2] – المصدر نفسه، ص290.

[3] – المصدرنفسه، ص244.

إن وجه الفتاة الصبية الأشهب هو قتل لمعنى الطفولة والفتوة،فهو تضاد لما تعكسه أيام الصبا ببراءتها ومرحها.إن تلك الفتاة "عيوشة" كبرت قبل وقتها بسبب ويلات العيش المريرة في دار سبيطار،حتى أصبحت على هذه الحالة.

أشهب تماما تحيل إلى معنى واحد هو لا إحساس بطعم الحياة إطلاقا.

"امرأة فارعة القامة نحاسية اللون مستطيلة الوجه كانت جالسة في وسط الرصيف لا تتحرك،وقد بلغت أسمالها الرثة من القذارة أن الناظر إليها يحسبها خارجة من حمام وحل،وعلى رأسها وكتفيها منديل ملطخ لا يقل سواده عن سواد سائر خرقها"[1].

إن هذه المرأة المتسولة التي تجلس على حافة الطريق، مع أطفالها حائرة في همها الذي يعد أكبر منها،لا تجد حيلة لمكافحة الحياة بمختلف صعابها،ينقل لنا محمد ديب تفاصيل هيئتها فيقول"نحاسية اللون" حتى تتبادر في الأذهان نوع من الفجع والخوف واليأس في حلة جريئة تقاوم بها مرارة العيش.وهذه المرأة عينة فقط تمثل واقع الشعب الجزائري .

كما يصف الكاتب إحدى الشخصيات في مصنع النسيج وهو عكاشة هذا فيقول:"ان هذا الرجل الأعجز يشبه منظره منظر شجرة تالفة. كل مافيه أسود:الزغب والجلد والنظرة.أما شعر رأسه الذي يحتل جزءا من جبينه العنيد،فانه منتصب انتصاب أشواك مهددة."[2]

كل مافيه أسود بمعنى أن الحياة لم تبقي في نفسه شيئا غير الدمار،حيث غابت عنه شمس الحياة في ظلمات اليأس.لما التهمه هذا السواد دليل على تأقلمه مع هذه الظروف.

[1] –محمد ديب، مصدر سابق، ص393.

[2] –المصدر نفسه، ص364.

3-جمالية الألوان في وصف الزمكان:

لطالما ارتبط المكان والزمان بنفسية الإنسان،فهذا محمد ديب من خلال وصفه للمكان على طول الرواية نجد سيطرة الألوان القاتمة المظلمة،على وصفه ،لأنه ربطها بالنفسية آنذاك والتي كانت دائما محبطة يائسة تبحث عن بصيص أمل.

3-1-في رواية الدار الكبيرة:

" كان يشتري من البائعين الصغار الذين يتلبثون في شارع التلاميذ المظلم"[1]

"هذه هي الدراسة. الإنشاء: وصف سهرة إلى الموقد ...عمر مضطر إلى أن يكذب. وهاهو ذا يكمل وصف السهرة،النار تتأجج في الموقد،رقاص ساعة الحائط يدق،...الظلام دامس"[2].

ظلام في الشارع يوحي بالخوف وانعدام الحياة فيه،غياب الحركة والنشاط.

في حين الظلام الدامس هو ذلك الوقت الطويل الذي ظلت فرنسا تقهر فيه الشعب ،هذا الظلام الدائم.بمعنى طول فترة القهر وعدم الدراية بنهايتها.

"أيتها الأرض المحروقة السوداء".[3] ، هكذا رددها عمر وهو يغني...

هنا استخدامه للون الأسود على قول لا أمل،لا حياة،لا فرح.

فقد الأمل تماما بأرض محروقة سوداء ليصف مأساة شعب بمجرد التأمل في أرضه وهي منهوكة مغتصبة.محروقة انعدام دلائل الحياة،لا غير الموت هناك.

---

[1]-محمد ديب، مصدر السابق، ص17.

[2] - المصدر نفسه، ص19،20.

[3] - المصدر نفسه، ص33.

3-2-في الحريق:

"الظلمات تكثف تحت ذرى جبال يبرز جانبها في سماء حزين بلا ضوء ولا ظل،ومخضوضر، الى غير نهاية ،وفي آخر السهل ،على بحيرة من حجر أشهب قاتم، بطرف قبس صغير من ضياء".[1]

إن قرية بوبلان هي قرية مغتصبة يعلوها الكثير من الظلم والاضطهاد ،إلا أن جمال المكان ينسي سكانها بشاعة الواقع المرير،نرى محمد ديب يتأرجح في هذا الوصف مابين ألوان داكنة توحي بالخوف واليأس تارة وبين أخرى فاتحة توحي بالسلام والتفاؤل تارة أخرى، فمصطلح الظلمات عند الوقوف عندها لأول وهلة يتبادر إلى ذهن القارئ أنه لا مجال للحياة في هذه القرية، لكن استخدام اللون الأخضر والأشهب كسر حالة الخوف المعهودة لتدخلها في حالة من السكون والطمأنينة.

"خرج عمر .إن القرية غارقة في طراوة الصباح. إن سياجا من الذرة يحيط بحقل البطاطس الواسع الذي يمتد فوق البيت... إن هذه الكتلة من النبات تغطي الأرض بنسغ أخضر. قطع الصبي بعض سبلات وهو يرضض النباتات. وكان من أجل أن يثق بأنها ناضجة ،يزيح القشر ويفحص الحبات، فإذا رأى أن بياضها قد حال وصارت صفراء كالعاج،انتزعها".[2]

لابد أن نلمح في هذا الوصف تصريحا واضحا بحالة الأمان التي كانت تختلج شعور عمر بين الفينة والأخرى ، ففي النهاية ماهاته الأرض إلا أرض آبائه ، لا يمكن لأحدهم أن يفصل روحه عنها إلا بارئها، فالأخضر والأبيض يصل بنا إلى حالة الشعور بالسلام والراحة ،أما

[1] -محمد ديب، مرجع سابق، ص125.

[2] -المصدر نفسه، ص130.

الأصفر فهو الآخر يسلب من العقل فكرة القيد ويمضي به إلى الحرية ، ولو كانت هذه الحرية مجرد نشوة تزول بزوال وقت لاح فيه نور الفجر.

"إن هذه الثمار البرية تتقاطر على اللسان عصارة حامزة حريفة. وكان البرقوق الأبيض ، والأحمر، والضارب إلى لون البنفسج، يتساقط في وفرة غزيرة تحمل على الزهد فيه".[1]

الأبيض والبنفسجي لونان يحتضنان في دلالتيهما نوعا من التوازن والاستقرار العقلي، لكن سرعان ما يعمد محمد ديب لكسر هذا النوع من الاستقرار ليدخل اللون الأحمر في محاولة منه للتذكير بنار الحرب المشتعلة في قلوب هؤلاء المزارعين.

"كان الرجلان قد استندا بظهريهما الى صخرة من الصخور.هي صخرة بيضاء من جانب ، سوداء من جانب آخر.تطل على الطريق".[2]

حالة هذه الصخرة أشبه بكثير بحياة هؤلاء الفلاحين،فالجانب الأسود فيها يصطدم بواقع مفزع لا مفر منه، واقع يظن لوهلة أنه لانهاية له ، أما الجانب الأبيض منها،فهو يعبر عن حالة الأمل التي كانت تداعب مشاعر السكان بين الحين والآخر، لتكون النفس القروية في حالة اللااستقرار بين واقع مرير ومستقبل حالم.

"نحن في الأقدام الأخيرة من شهر أيلول.لا يزال الجو صحوا إلى الآن.الحقول اصطبغت بلون كلون الآجر.إنها تقسو، ولوقع الأقدام عليها صوت مشؤوم.أينما تتوجه ببصرك لا ترى إلا قشرا محمرا. العشب لا ينبت. الشمس الجزائرية الحمراء تقرض هذه الأرض حتى العظام"[3].

التأكيد على اللون الأحمر هنا لم يكن عبثا بل كان عمدا ينذر باندلاع حرب قريب،إنها تنبؤات

---

[1] –محمد ديب، مصدر سابق، ص133.

[2] –المصدر نفسه، ص155.

[3] –المصدر نفسه، ص224.

أقر بها محمد ديب في روايته تعلن اندلاع الثورة ثورة رافضة لمستعمر استعبد سكانها واغتصب أراضيها وهذا ما تأكد في قوله.

"الشمس الجزائرية الحمراء"[1].

وكأنه يقول :آن الأوان لبزوغ فجر جديد،آن الأوان لتحطيم حاجز الذل والانكسار والصمت.

"سرعان ما امتلأت السماء القاتمة فوق الكروم بأضواء حمراء.ان الأنوار الأرجوانية تصطدم بظباب الليل، وتصبغ الهواء الرطب".[2]

تتأزم أحوال المزارعين أثناء الحريق وبعده،ليطغى اللون الأحمر على حياتهم.فقد كانت أشد كلفة مما كانت عليه في أذهانهم، لكنهم في النهاية يعرفون مصيرهم مادام اللون الأحمر استوطن عقولهم وقلوبهم،لقد احترقت مساكنهم،ولم يتبق لهم سوى ذلك اللهيب المشتعل في أفئدتهم والذي لن يخمده إلا دم أعدائهم.

3-3-في رواية النول:

"المدينة غارقة في نور ساطع، وكأن الطبيعة تنوي أن تطيل هذه الهدنة المضيئة ".[3]

فالأضواء والنور الذي اختلج روح المدينة كنسيم عليل ماهو إلا أمل لامس هاته الروح ليمضي بسلاسة تاركا إياها تغرق في ظلام لا تعرف بدايته من نهايته.

فالهدنة التي صاحبت نور الفجر، لم تكن سوى أمل كاذب زرعه العدو في النفس الجزائرية ليسكت غضبها ويطفئ تأجج اللهيب في صدرها.

---

[1] – محمد ديب، مصدر سابق،224.

[2] –المصدر نفسه ، ص227.

[3] –المصدر نفسه، ص281.

"وتسفر الأشجار عن قاماتها السوداء الشعثاء في جو مكبرت بارد الأشعة أدهمها".[1]

سرعان مايرجع الظلام مرة أخرى للمدينة، وكأنه قدر محتوم كتب لسكانها بدأ مع ولادتهم ولن ينتهي إلا مع مماتهم.

لذا عمد ديب إلى إقحام الجو المكبرت، وذلك ليخلق نوعا من اللوم والعتاب على الجزائريين لعل عقولهم تستفيق، فالنيران التي تغلي في صدورهم لابد لها أن تطغى على أفعالهم ولاتبقى حبيسة أذهانهم باردة اللهيب.

"والأمطار المنهمكة في إذابة الألوان الخضراء والشهباء عن الأشجار ومناضد الجزائريين والناس والمباني".[2]

لعل كلا من اللونين الأخضر والأشهب يرمزان للسلام والاستقرار والطمأنينة، فرذاذ التفاؤل والأمل الذي زرع في قلوب السكان، أذابته وغسلته مياه الأمطار، وكأنها تؤكد بأن العناء لازم ولابد منه في حياة هؤلاء السكان.

"نظر الصبي من خلال شق الباب إلى السماء المنخفضة التي تتخللها التماعات مزرقة. إن رؤيتها أصبحت متعذرة منذ الآن".[3]

على الرغم من أن عمر دخل مجال العمل، إلا أن ذلك لم يحدث تغيرا كبيرا لا في حياته ولا في حياة أسرته،فمحمد ديب يصور المشهد بنوع من الدقة، إذ يرسم اللوحة بإتقان، فيرمز للفرح الذي طرق باب عائلة عمر عند إيجاده للعمل بالالتماعات المزرقة التي سرعان ماتتلاشى

[1] – محمد ديب، مصدر سابق ، ص283.

[2] – المصدر نفسه ، ص284.

[3] –المصدر نفسه، ص295.

لتخبرهم بأنه لا وجود للفرح مادام هذا المستعمر لم ينتزع مخالبه السامة من هذه الأرض الطاهرى

"الصبح يصبغ الجو بالبياض، ومع ذلك يحاول ضوء النهار عبثا أن يتملص من الاكفهرار الصقع الذي يغشى السماء".[1]

وكأن محمد ديب، يحاول أن يقنعنا بأن نفسية السكان مضطربة ولاسبيل لها إلى الاستقرار فاللعب على الألوان مابين فاتح وقاتم يحيل إلى القلق والتوتر الدائمين الذي يعيشه السكان.

"ولد الربيع في ليلة. انبثق انبثاقا مفاجئا: سيول من الضياء تتدفق بعد ذلك الظلام الطويل".[2]

يقر محمد ديب هنا، بأن ظلام الاستعمار لابد له وأن يزول، طال أو قصر، وأن ضياء الاستقلال لابد أن يلوح في سماء الوطن الشامخ.

4-جمالية الألوان في وصف التراث المادي:

4-1-في الدار الكبيرة:

"جلست لالا متلففة بحايكها الواسع المصنوع من صوف أبيض، وأخرجت من الدكة التي تحزم بها خصرها منديلا جففت به وجهها.وأخذت تتروح بالمروحة وهي لاتستطيع أن تنطق بكلام آخر"[3]

الحايك المصنوع من الصوف الأبيض يرمز لثقافة الشعب الجزائري قديما، فمهما سعى الظالم لطمس هذا التاريخ العظيم إلا أن هذا الشعب ظل متمسكا بتراثه وعراقته،وهذا الحايك الأبيض

[1] -محمد ديب، مصدر سابق، ص298.

[2] -المصدر نفسه، ص319.

[3] - المصدر نفسه، ص55.

عنوان للحشمة والستر والاحترام عند المرأة الجزائرية ، والأبيض بالذات رمز لطهارة هاته النسوة كما هو تمجيد لتلك الأيادي الطاهرة كطهارة هذه الأرض الطيبة،أرض الشهداء الأبرار،التي كانت تحيك وتنسج هذه الثياب.

"كانت لالا، بالرغم من حبها للتوفير والاقتصاد في كل شيء، واحدة من الناس الذين يأكلون كل يوم ...كانت تساعد عيني وأطفالها في احتمال لحظات العوز، فتمدهم بين الفينة والفينة بقطع من الخبز الأسود هي كسر يابسة متسخة في بعض الأحيان."[1]

في حين الخبز الأسود هذا الذي تكرر في عدة مواطن في الرواية للتأكيد على قمة الفقر والعوز،يخفي أيضا شيئا مرتبطا بعادات الأكل لدى الشعب الجزائريين،حيث أن هذا الخبز هو مصنوع من الشعير ويقاوم الجوع،كما يعبر عن مظهر من مظاهر الاقتصاد التي كانت شائعة في تلك الفترة،وهو ما يحيل إلى مدى قوة الشعب على الرغم من قساوة العيش.

"ودار سبيطار الواقعة بين طرفي ضيقة صغيرة متلوية كأغصان النبات المتعرش،كانت لا تبدو للناظر إلا قطعة من ذلك القلب الواحد .انها بيت كبير عتيق، موقوف على سكان همهم الاكبر اختصار النفقات...تطل على الشارع الضيق الصغير...وفي الداخل تزيينات كبيرة على الجدران: قيشاني أزرق ذو أرضية بيضاء، وعلى صف من أعمدة من الحجر الأسود"[2]

وصفه لدار سبيطار هو وصف لديار القصبة التي هي رمز لحضارة وعراقة هذا الشعب الأصيل المتمسك بعاداته وتقاليده مهما كان مكبلا بسلاسل الألم والعذاب.فهندسة المكان وألوانه بقيت شاهدا إلى يومنا هذا على أن هذا الشعب جعل من روحه وقلبه وعقله فداءا لهذا الوطن.

"كانت لالا تقبض بيدها العرجاء على سبحة ذات حبات سود مصقولة، لا تتركها في لحظة من

[1] – محمد ديب، مصدر سابق، ص61.

[2] – المصدر نفسه، ص48.

اللحظات.إنما تظل تزلق هذه الكرات من بين أصابعها من الصباح إلى المساء بحركة آلية".[1]

هنا بالذات يكشف الكاتب عن عادة أصيلة في تاريخ هذا الشعب العظيم،هي التمسك بعقيدته ودينه،فهو محافظ على مبادئه اتجاه إسلامه،فالسبحة ذات اللون الأسود دون غيره،تأكيد على أن هذا الظلام والسواد أصبح محيطا بكل شيء في حياة السكان في دار سبيطار، وصار مرتبطا بشتى مجالات الحياة فقد تأقلموا مع هذا السواد المفروض وتكيفوا مع واقعهم المرير.

وكأن هذه الألوان القاتمة صارت خيارهم قبل أن تكون حقيقة مفروضة غصبا عنهم.

5-أهم دلالات الألوان في الثلاثية:

اللون	الدلالة
الأبيض	البياض في الرواية غالبا ما يحيل إلى الفرج المزعوم المنتظر.
الأسود	يعبر عن حالة الرضوخ واليأس.
الأصفر	يرمز إلى الذبول والاحياة.
الأزرق والأخضر	لونان يعبران عن النبل والأمان والتفاؤل.
الرمادي	إن هذا اللون يدل على حالة الحرمان المؤقت.
الأحمر	يعبر عن نيران الثورة المتأججة في صدر الشعب.

مع العلم بأن هذه الدلالات تحمل تفصيلات حسب السياق الذي وردت فيه.

[1] -محمد ديب، مصدر سابق، ص57.

خاتمة

خاتمة:

بعد إتمامنا لهذا البحث توصلنا إلى جملة من النتائج مفادها كالآتي:

- ✓ السيميائيات و السيميولوجيا مصطلحان غربيان ؛ إذ يعنيان بعلم أنظمة العلامات.
- ✓ سيميوطيقا بيرس ثلاثية الأساس والمنطلق"الممثل،المؤول،الموضوع" ، في حين سيميولوجيا سوسير ثنائية الدال والمدلول.
- ✓ اختلف الدارسون في اتجاهات السيميولوجيا غير أن معظمهم قاموا بحصرها في ثلاثة اتجاهات كبرى ،" سيميولوجيا الدلالة، سيميولوجيا التواصل ، وسيميولوجيا الثقافة."
- ✓ للألوان خلفيات ثقافية متعددة تستند وتعود إليها، واستعمالها استعمالا دالا قديم قدم الانسان في الوجود.
- ✓ الألوان مجال فسيح، فهو مشبع بالدلالات اللامتناهية و التي تحتاج لقراءات عميقة لإدراكها والكشف عنها.
- ✓ الأدب الجزائري والمكتوب بالفرنسية هو إحياء للذاكرة التاريخية، والرجوع بها الى فترة الاستعمار قصد التذكير بما عانته الجزائر آنذاك.
- ✓ هذا الأدب جاء بهذه اللغة إجبارا واختيارا إجبارا لأن أدباءها قد تلقوا تعليمهم باللغة الفرنسية، واختيارا لأنهم أرادوا بها أن يوصلوا صوت الشعب الجزائري الى النخب الفرنسية، ونخب العالم.
- ✓ محمد ديب أحد أعلام الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي، وثلاثيته"الدار الكبيرة، الحريق،النول" عنوان لكل هاته الجهود المبذولة في ذلك.
- ✓ ثلاثة محمد ديب هي تمثيل لواقع أليم عاشه الشعب الجزائري إبان الثورة كما هي تقدير لهذا الشعب المجيد الذي تألم من احتلال طويل.

- ✓ تمكن محمد ديب من توظيف الألوان في ثلاثيته لإحداث جمالية مميزة في الوصف على اختلاف مواضعه.
- ✓ ساعد توظيف الألوان في الثلاثية تدقيق الوصف.
- ✓ استلهم محمد ديب ألوانه من بيئة الشعب الجزائري، ليجعلها تفصح عن مكامن النفوس وتفاعلاتها مع واقعها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر:

-محمد ديب، ثلاثية محمد ديب، الدار الكبيرة، الحريق، النول، تر:سامي الدروبي، دار الوحدة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1985.

ثانيا المراجع:

-أحمد مختار عمر، اللغة واللون، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1982، ط2، 1997.

- آمنة بلعلى، بحوث سيميائية.

-جان كلود دومينجوز، بحوث سيميائية، تر: جمال بلعربي.

-جون ماري كلينكبارغ، بحوث سيميائية، تر:رشيد مالك.

-حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1.

-دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر:طلال وهبه، مر:ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة شارع البصرة،بيروت، لبنان، ط1، 2008.

-سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد، مدخل الى السيميوطيقا -نور الدين رايص، السيميائيات والتواصل، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1،2016.

-عز الدين لمناصرة، السيميائية (الأصول، القواعد، التاريخ)، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط2، 2012،2013.

-فرديناند دوسوسير، علم اللغة العام، تر: يوئيل يوسف، وآخرون، دار الآفاق للصحافة والنشر، بغداد، ط3، 1985.

-فيبربيرين، تر: صفية مختار، مر:محمد إبراهيم الجندي، الألوان والاستجابات البشرية، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2017.

-فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010.

-كلود عبيد،مر:محمد حمود، الألوان (دورها،تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالاتها)،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت لبنان،ط2013،1.

-مارسيليو داسكال،الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد حمداني وآخرون، شارع يعقوب المنصور الدار البيضاء،1987.

-مانليو بروزاتين، تر: السنوس استبيته، مر:نجم بو فاضل، قصة الألوان، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، مملكة البحرين، ط2018،1 .

ثالثا المعاجم:

-ابن منظور، لسان العرب، دار صبح، ايديسوفت، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، ج6، 2006.

رابعا الملتقيات والمؤتمرات:

-ناجي عباس مطر، سيميوطيقا اللون-دراسة ثقافية-مجموعة مقالات للمؤتمر الدولي الثالث حول القضايا الراهنة للغات واللهجات وعلم اللغة، جامعة دي قار، العراق، 2019

خامسا المجلات:

-ابن حويلي الأخضر ميدني، الفيض الفني في سيميائية الألوان عند نزار قباني، مجلة جامعة دمشق، مج21، ع(3،4)، 2005.

-عالية زروقي،الابداع الأدبي لمحمد ديب بين المسؤولية الوطنية والمواكبة الحضارية،مجلة الدراسات اللغوية والأدبية،ع2،ديسمبر،2014.

-محمد اقبال بحروى،السيمايئت وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير،مجلة عالم الفكر،مج24 ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،ع1997،3.

الفهرس

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....أ-ب

تمهيد.....7-8

الفصل الأول:السيميائيات ودلالة الألوان

1-مفهوم السيميائيات.....10

1-1-لغة.....10

1-1-1-عند الغرب.....10

1-1-2-عند العرب.....10

1-2-اصطلاحا.....11

2- بين سيميولوجيا سوسير وسيميوطيقا بيرس 12

2-1-سيميولوجيا سوسير.....12

2-2-سيميوطيقا بيرس.....13

2-3-الفرق بين سيميولوجيا سوسير وسيميوطيقا بيرس.....15

3-اتجاهات السيمياء.....16

3-1-سيميولوجيا التواصل.....17

3-2-سيميولوجيا الدلالة.....17

3-3-سسيميولوجيا الثقافة.....18

4-الألوان.....19

4-1-الألوان في الذاكرة الاجتماعية.....19

4-2-تأثير الألوان على سيكولوجية الإنسان.....22

الفصل الثاني:الوصف في ثلاثية محمد ديب بالألوان دلالات وجماليات.

نبذة عن الكاتب محمد ديب.....26

1-ملخص الثلاثية..... 27

2-جمالية الألوان في وصف الشخصيات.....32

2-1-في رواية الدار الكبيرة.....32

2-2-في رواية الحريق.....35

2-3-في رواية النول.....38

3-جمالية الألوان في وصف الزمكان.....40

3-1-في رواية الدار الكبيرة.....40

3-2-في رواية الحريق.....41

3-3-في رواية النول.....43

4-جمالية الألوان في وصف التراث المادي.....45

4-1-في رواية الدار الكبيرة.....45

5-أهم دلالات الألوان في الثلاثية.....47

خاتمة.....49

قائمة المصادر والمراجع.....52

فهرس الموضوعات 55

ملخص.....59

ملخص

ملخص:

عمد محمد ديب على استخدام الألوان في الثلاثية ليخلق جمالية الوصف، كما ركز عليها بالذات حتى يجذب القارئ إلى أحداث الرواية، فيتفاعل معها لا إراديا ،يؤثر فيها ويتأثر بتاريخ هاته الأمة الأبية .

ولعل استخدامه لها لم يكن ساذجا، بل إن فكرة اللون في حد ذاتها لطالما كانت لصيقة الذاكرة الاجتماعية فهي نوع من أنواع اللغة الدلالية المعبرة عن أغوار النفس الإنسانية.

استقاء محمد ديب للألوان في الرواية جاء تبعا لما فرضته البيئة والثقافة الجزائرية في عهد الاستعمار.

الكلمات المفتاحية: السيمياء ،الألوان،دلالة ،الثلاثية ،الاستعمار،جماليات .

Résumé :

Muhamed Dib a utilisé les couleures dans la trilogie pour créer une esthétique de la description, car il s'est concentré sure elles en particulier afin d attirer le lecteur vers les évènement du roman , interagir avec eux involontairement ,les affectant et étant affecté par l'histoire de cette nation patriarcale .

Peut-être n'était-il pas naïf de les utiliser. Au contraire, l'idée de la couleur elle-même a toujours été celle de la mémoire sociale. C'est une sorte de langage sémantique qui exprime les profondeurs de lame humaine.

La coloration de Muhamed Dib dans le roman est base sur ce que la culture et l'environnement algériens ont àl'époque coloniale.

Les mots clés : sémiotique , couleures ,indication ,trilogie ,colonisation ,esthétiques .